

كتب بالفرنسية

الانتفاضة الثانية، في ظل حكم الليكود اليميني، مع الفصائل الناشطة الأخرى، لفترة وجيزة.

لقد دفعت ثمار أوصلو المُرّة الفصائل الفلسطينية إلى الالتفاف حول الانتفاضة الشعبية، من "فتح" إلى "حماس"، لكن رحيل الرئيس أبو عمار في ظروف ملتبسة (ولنقل اغتياله) في سنة ٢٠٠٤، وضع حداً لعنوان الوحدة هذا. فتنازعت حركتا "فتح" و"حماس"، وتقاتلتا على قطاع غزة في سنة ٢٠٠٧، وانقسم الميدان السياسي بين قطبين كبيرين، ووجد الفلسطينيون أنفسهم من دون موارد ومن دون دولة، يخضعون أكثر فأكثر لإملاءات الخارج وضغوطه، من إيران إلى سورية مروراً بدول الخليج. بيد أن "أزمة" الحركة الوطنية الفلسطينية المفتوحة منذ سنة ١٩٩٣، ليست جديدة، فنموذج "الانقسام" قديم. ففي ماضٍ قريب شهدت "فتح" انشقاقاً خرجت منه "فتح - الانتفاضة" القريبة من النظام السوري، وتأسست "حماس" الإسلامية في سنة ١٩٨٧،

تفتت الفسيفساء: تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٩٣ - ٢٠١٦)

La Mosaique éclatée: Une histoire du mouvement national palestinien (1993-2016)

Nicolas Dot-Pouillard

Beyrouth; Paris: Institut des Études Palestiniennes; Sindbad, Actes Sud, 2016. 255 Pages.

الاحتلال، بناء على أن مصير اللاجئين ووضع القدس أحياناً إلى مفاوضات لاحقة، والأراضي ما زالت محتلة، كما أن السلطة لا تمارس سيادتها فعلياً، والاستيطان مستمر من دون توقف.

ما يُفترض به أن يشكل بداية مصالحة فلسطينية - إسرائيلية، كما يقول الكاتب، كان إيذاناً بشرخ في الصف الفلسطيني، فأوصلو لم يرادف السلام، وإنما أشار إلى مرحلة جديدة من الصراع. ويشير الكاتب في هذا الصدد إلى أن حركتي "حماس" و"الجهاد الإسلامي" تابعتا خيار حمل السلاح لتحرير الأرض، ثم في سنة ٢٠٠٠ جمعتهما

يختار الباحث الفرنسي في العلوم

السياسية Nicolas Dot-Pouillard، البدء في تأريخه بالحديث عن الحركة الوطنية الفلسطينية من اتفاق أوصلو الموقع في ٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣، بين إسرائيل ومنظمة التحرير بقيادة ياسر عرفات. وهذا الاتفاق الذي يُفترض أنه يعد بإقامة سلطة وطنية تكون نواة لدولة فلسطين، ويعبّر عن الاعتراف المتبادل بين الطرفين المتحاورين، أظهر في الوقت نفسه الانقسام في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية التي طالب بعض أطرافها بمتابعة الكفاح المسلح والانتفاضة ضد

وقبلها كانت حركة "الجهاد الإسلامي في فلسطين" قد تأسست في سنة ١٩٨١ بدفع من دينامية الثورة الإسلامية التي انتصرت في سنة ١٩٧٩، كما أن اليسار الفلسطيني وانشقاقاته سابق على اتفاق "أوسلو". غير أن هذا الاتفاق مثل منعطفاً وشكلاً مفارقة، فانتقال منظمة التحرير إلى ما يُسمى الأراضي المحتلة، والقرب الجغرافي من مدينة القدس، عنيا تراجع الأمل بتحرير كامل التراب المسلوب، أي أمل التحرير الذي أدرج القضية الفلسطينية في مسار "إزالة الاستعمار"، وأعطاه بُعداً ثورياً كما في فييتنام والجزائر وكوبا، وجلب لها دعماً أممياً معتبراً.

لقد أتى اتفاق أوسلو في زمن تغيّر النظام العالمي، في إثر سقوط الاتحاد السوفياتي وتفككه، ودخول الأحلام والمشاريع السياسية الكبرى في أزمة. وعلى هذا النحو، لم تكن الظروف الدولية في مصلحة الفلسطينيين، مثلما يُقدّر الباحث، كما أن "الوطنية الفلسطينية" دخلت في مرحلة شقاق وخصام ما بين الضفة الغربية وغزة، وبين "فتح" و"حماس". وعانت الحركة الرئيسية ["فتح"] جزاء غياب

قيادة قوية بعد رحيل زعيمها أبو عمار، وتأرجحت بين العمل المسلح ("كتائب شهداء الأقصى")، وبين دعم السلطة وأجهزتها والانخراط في الجهود الدولية للتسوية ونسج علاقات مع جميع الدول، لكن مشروع "فتح" الاستراتيجي بقي غير واضح المعالم.

وفي المقابل حظيت "حماس" بشعبية في الشارع الفلسطيني؛ فهي تعاني الحصار وتقاتل العدو، لكنها لم تكن في منأى عن التجاوزات السلطوية والتناقضات في التحالفات، وإنما بحثت وتبحث عن هدنة طويلة مع تل أبيب، في الوقت الذي تعارض اتفاق أوسلو والسلطة، أي أنها على الرغم من تبنيها الكفاح المسلح، فإنها تبحث عن الشرعية السياسية. أما اليسار الفلسطيني (الشعبية؛ الديمقراطية؛ حزب الشعب؛ إلخ) فيفتقد البرنامج البعيد المدى، وهو مشتت الصفوف، وتحالفاته ظرفية (في المواسم الانتخابية)، ويدعم التحركات الشعبية واللجان المحلية. وثمة منظمات عسكرية موجودة، لكنها تفتقد العمق الشعبي في فلسطين، مثل "القيادة العامة" بزعامة أحمد

جبريل، ومنظمة "الصاعقة" القريبة من حزب البعث السوري، و"جبهة التحرير العربية" التي كانت تابعة لحزب البعث العراقي. ومنذ سنة ٢٠٠٠، شكّل ناشطون تركوا حركتي "فتح" و"حماس"، فصائل ومجموعات محلية مسلحة مثل "لجان المقاومة الشعبية"، وقد انحصرت نشاطها في قطاع غزة.

أما منظمة التحرير، فتنتظر إعادة الهيكلة، ودورها محوري في إعادة اللحمة وتجسيد الوحدة، على الرغم من تهميشها بعد اتفاق أوسلو.

الخلاصة المستفادة من تطور الحوادث والوقائع الفلسطينية (انقسام أيديولوجي، وأزمات استراتيجية)، هي أنه بات من العسير الكلام عن "حركة وطنية فلسطينية"، والباحث يتناول لتوكيد زعمه أربع قضايا تشغلها: مسألة الأرض والدولة: أراضي ١٩٦٧ أو أراضي ١٩٤٨، دولة واحدة أو دولتان: القيادة السياسية الموزعة بين منظمة التحرير والسلطة ومخيمات اللجوء في لبنان وسورية؛ وسائل الكفاح الواجب اعتمادها استناداً إلى رؤى الدولة والسلطة لإنجاز البرنامج الوطني؛ التشكلات

شاهد على انقطاعات
وانكسارات، وعلى قدرة على
التجدد الدائم.
عفيف عثمان
باحث وكاتب لبناني

والتيار القومي. ذلك كله يشي
بأن صورة الحركة الوطنية
تشبه صورة الفسيفساء
المفتتة، في حين أن تاريخ
الوطنية الفلسطينية ونضالاتها

الأيديولوجية والهوياتية
الطارئة على الحركة الوطنية
الفلسطينية، والتأرجح بين
"الإسلام" و"الوطنية" مع
استمرار خطابات اليسار

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

بلادنا فلسطين
(الجزء الأول)
جغرافية فلسطين وتاريخها:
نظرة عامة

مصطفى مراد الدباغ
تقديم: وليد الخالدي

٢٥ دولاراً ٧٨١ صفحة